الموضوعات الأدبية والروحية في ديوان الإمام عبد الله بن علوي الحداد: قراءة تحليلية في البنية الدلالية والوظيفة التربوية

أمجد سديم. ك [١]

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الموضوعات الأدبية والقيم التربوية والدعوية في ديوان الدر المنظوم للإمام عبد الله بن علوي الحداد، بوصفه نموذجًا للشعر الصوفي الذي يجمع بين البُعد الوجداني والوظيفة الإصلاحية. تنطلق الدراسة من إشكالية تتعلق بكيفية تجلّي القيم الأخلاقية والتربوية في النص الشعري، وتعتمد منهجًا وصفيًا تحليليًا يركّز على الجوانب الموضوعاتية والدلالية للأبيات المختارة.

وقد كشفت النتائج عن تنوع الثيمات في شعر الحداد، ما بين المديح النبوي، والمناجاة، والزهد، والحكمة، والرثاء، والعتاب، والنصيحة، وغيرها، مشكّلة بذلك رؤية متكاملة تنطلق من التصوف العملي إلى الإصلاح المجتمعي. كما أظهر التحليل أن لغة الحداد تتوسل الرمزية الروحية والتصوير الحسي لخدمة غايات تهذيب النفس وبناء الوعي الديني. وخلصت الدراسة إلى أن شعر الحداد يُعد مرجعية أخلاقية صوفية تعبّر عن التفاعل بين الشعر والتزكية.

الكلمات المفتاحية: عبد الله بن علوي الحداد، الشعر الصوفي، الموضوعات الأدبية، الزهد، الحكمة، المناجاة، الوظيفة التربوية، القيم الأخلاقية.

المقدمة

يُعدّ الشعر الصوفي من أبرز الأجناس الأدبية التي واءمت بين التعبير الوجداني

---

١ ياحث بكلية السنية العربية التابعة لجامعة كاليكوت

والوظيفة التربوية، حيث تتجاوز اللغة حدود البيان التقليدي لتعبّر عن تجارب روحية عميقة. وفي هذا السياق، تبرز تجربة الإمام عبد الله بن علوي الحداد (ت. ١١٣٢هـ) بوصفها صوتًا صوفيًا فريدًا مزج بين التأمل العرفاني والانشغال بأحوال النفس والمجتمع. لقد تحوّلت قصائده إلى مجال رحب يستوعب مناجاة الذات، ومخاطبة الغافلين، ومديح النبي، واستحضار لحظات الزهد والحنين والرثاء، دون أن تنفصل عن بعدها الإرشادي الذي ميّز خطابه الدعوي والأخلاقي.

لا يكتفي شعر الحداد بوصف الأحوال الصوفية أو تصوير المقامات الروحية، بل يتعدّى ذلك إلى بناء خطاب شعري متعدّد الوظائف، يستبطن رؤية معرفية وإصلاحية، يتسلل من خلالها إلى وجدان المتلقي بلغة موحية تجمع بين السلاسة والرمز، وبين التكرار التوسلي والانزياح البلاغي. هذا الخطاب لا يُعنى بالصورة من أجل الزخرفة، بل من أجل التكثيف الدلالي والانخراط في تجربة روحية تُعيد تأويل مفردات الحياة اليومية ضمن نسق عرفاني يعيد ترتيب العلاقات بين الذات والخالق والعالم.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تتلمّس ملامح هذه التجربة الشعرية من خلال تحليل أبرز الموضوعات التي تتكرر في ديوان الإمام الحداد، وتحديد طرائق تشكّلها الفني والدلالي، بما يكشف عن الأبعاد التربوية والروحية الكامنة في البنية الشعرية نفسها. وانطلقت الدراسة من قراءة داخلية للنصوص، تعتمد على أدوات التحليل الأسلوبي والبلاغي، بغرض الكشف عن البنية الموضوعاتية المتكررة في الديوان، لا باعتبارها مفردات متناثرة، بل بوصفها منظومة دلالية تعبّر عن رؤية متكاملة للوجود والصلاح والعرفان.

وتأتي أهمية هذه المقاربة من كونها تتعامل مع النص الصوفي بوصفه خطابًا بنائيًا له منطقه الخاص، يتطلب أدوات تحليلية تجمع بين الحس البلاغي والوعي الرمزي. كما أن الاقتصار على الموضوعات الأدبية والروحية في شعر الإمام الحداد يمنح الدراسة فرصة لإبراز التكامل بين البعد التعبيري والبعد التربوي في التجربة

الشعرية، ويُظهر كيف ينهض النص بوظائف متعددة دون أن يتخلى عن شعريته الجوهرية.

٢: الإطار النظري

أ. اللغة الشعرية الصوفية: المفهوم والخصوصية

تتمتع اللغة الصوفية بخصوصية بنيوية ودلالية تجعلها متميزة عن أنماط الخطاب الأخرى، حيث تُبنى على الرمز والانزياح والاختزال التعبيري، وتُحيل إلى تجارب غير قابلة للتمثيل المباشر. فالشاعر الصوفي لا يعبّر عن أفكار مجردة أو عواطف عابرة، بل ينقل تحوّلات داخلية ومعانٍ ذوقية تتجاوز الإدراك الحسي، مما يفرض على لغته أن تكون شفّافة ومحمّلة بطاقة إيحائية مركّبة (مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ١٩٨٢، ص. ٨٧).

وقد أشار أبو العلاء عفيفي إلى أن اللغة الصوفية «ليست تقريرية بل وجدانية، تنشأ عن معايشة لا عن تصور» (عفيفي، التصوف: الثورة الروحية، ٢٠١٣، ص. ١٤٥). وهو ما يجعلها تعتمد آليات بلاغية مخصوصة، مثل الرمز، والإيماء، والطباق، والتكرار التوسلي، والإحالة إلى مقامات وأحوال لا تُدرك إلا بالذوق.

ب. الشعر بوصفه خطابًا دينيًا وروحيًا

يتجاوز الشعر الصوفي الوظيفة الجمالية إلى أفق معرفي وتربوي، حيث يصير النص الشعري مساحة للتربية الداخلية، والتذكير بالمقاصد، وتوجيه النفس نحو التزكية والتهذيب. وقد ذهب كمال أبو ديب إلى أن الشعر الصوفي «يفتّت الحواجز بين اللغة والوجود، ويجعل من النصّ فضاءً لتجلّي الذات في حضرة الغيب» (أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، ١٩٩٠، ص. ٩٢).

وتندرج نصوص الإمام الحداد ضمن هذا التصور، فهي لا تعكس فقط مقاماته، بل تُشكّل خطابًا رساليًا يتوجّه إلى الذات والآخرين في آن. وهنا يتقاطع البعد الديني بالبعد البلاغي، ليؤسسا خطابًا مزدوج الوظيفة: وجدانيّ/إرشاديّ.

ج. الموضوعات الشعرية في الأدب الصوفي

تُعدّ الموضوعات الشعرية مدخلًا لفهم البنية العرفانية في الأدب الصوفي. فكل موضوع (كالزهد، والمديح، والمناجاة، والعتاب، والرثاء) يتّصل بمقام من مقامات السير والسلوك. وقد بيّن ناصر حلاوة أن «القصيدة الصوفية تُعاد فيها صياغة الموضوعات التقليدية في ضوء المقامات الداخلية للمتصوّف، وتغدو كل لفظةٍ إشارة إلى لحظة ذوقية» (حلاوة، البنية الرمزية في الشعر الصوفي، ٢٠١٠، ص. ٦١).

وهو ما يظهر في شعر الإمام الحداد من خلال المعالجة الخاصة لهذه الموضوعات، إذ لا تُقدّم بوصفها قوالب جاهزة، بل بوصفها تجارب حيّة ممتدة، تتّخذ طابعًا وجدانيًا وروحيًا، وتُعاد صياغتها ضمن نسق شعري متين يوازن بين الاتّساق البنائي والإيحاء الرمزي.

د. البنية الدلالية وتعدّد الوظائف في النص الصوفي

يمتاز النص الصوفي ببنية دلالية مفتوحة، تعتمد على تعدّد الطبقات المعنوية للكلمة، وكثافة الصورة، والانزياح الدلالي، والانتقال من الحسي إلى المجرد. وقد رأى حسن حنفي أن «الكلمة في النص الصوفي لا تُحيل إلى معناها المعجمي فقط، بل إلى حقل واسع من الخبرات العرفانية، وهي ذات قابلية تأويلية متجددة» (حنفي، التراث والتجديد، ١٩٩٠، ص. ٩٩).

وعليه، فإن دراسة الموضوعات الأدبية في ديوان الحداد تقتضي وعيًا بأن النص لا يُقال فيه كل شيء مباشرة، بل يُشار فيه إلى المعاني بإشارات ومجازات، وعلى الباحث أن يكتشف النسق الباطني المتصل بها.

المنهجية

تعتمد هذه الدراسة في مقاربتها لديوان الإمام عبد الله الحداد على المنهج الوصفي التحليلي، لما يتميز به من مرونة في قراءة النصوص الشعرية من داخلها، دون إخضاعها لتصورات خارجية مسبقة. وقد تم اختيار هذا المنهج لأنه يسمح

بالكشف عن البنية الموضوعاتية للقصائد، وتتبع تجلياتها البلاغية والدلالية، وتحليل العلاقة بين المضامين الأدبية والتعبير الروحي الذي يصوغ التجربة الصوفية في قالب شعري.

وانطلقت الدراسة من قراءة مقطعية لعدد من النصوص المختارة من ديوان الدر المنظوم، تُغطي موضوعات متنوّعة مثل المديح النبوي، والمناجاة، والزهد، والحكمة، والرثاء، والعتاب، والحنين. وتم تحليل هذه النصوص عبر أدوات نقدية تجمع بين البلاغة (في مستوياتها: الصورة، الإيقاع، التكرار) والدلالة الرمزية، مع الحرص على استخراج البنية التعبيرية في ضوء سياقاتها الصوفية.

وقد رُوعي في اختيار النصوص معيار التكرار والتمثيلية، بحيث تشكل العينات الشعرية المختارة أنساقًا دالة على توجهات الشاعر الموضوعية، وتُظهر كيف يُسهم الخطاب الصوفي في إعادة تشكيل الموضوعات الأدبية بمنظور عرفاني، يتجاوز التعبير الظاهري إلى بناء رؤية متكاملة تتوحّد فيها العاطفة والوظيفة التربوية.

النتائج وتحليلها

أولا: الموضوعات الأدبية في ديوان الإمام عبد الله الحداد

يكشف ديوان الدر المنظوم للإمام عبد الله الحداد عن بنية موضوعاتية متعددة الأبعاد، تتقاطع فيها القيم الروحية مع الوظائف الأخلاقية والتربوية. وقد أظهرت نتائج التحليل أن شعر الحداد لا يقتصر على البعد الوجداني أو الجمالي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى معالجة ثيمات كبرى تنتمي إلى تقاليد التصوف الإسلامي، كالزهد، والمناجاة، والمديح، والحكمة، والنصيحة، وغيرها من القضايا التي تُعبّر عن وعي أخلاقي وتجربة باطنية متجذّرة.

واعتمد التحليل على منهج وصفي تحليلي يرصد البنية الدلالية والرمزية في الأبيات المختارة، من خلال استقراء مباشر لمتن الديوان، مع مراعاة التكرار الموضوعي، والترابط القيمي، وطبيعة الخطاب الشعري ووظيفته. وقد تم فرز المادة

الشعرية ضمن جداول موضوعية تُبيّن القضايا الأدبية الأبرز، والقيم التربوية التي يحملها النص، بطريقة تُبرز تنوّع التجربة الشعرية واتساع أفقها الإصلاحي والتعبّدي.

يعرض الجدول الأول أدناه أبرز القضايا الأدبية الواردة في ديوان الحداد، متضمنًا نموذجًا شعريًا وتحليلًا موجزًا للدلالة. في حين يُبرز الجدول الثاني عشر نماذج منتقاة تُمثل القيم التربوية والدعوية، بما يعكس رسوخ الوظيفة الإصلاحية والتزكوية في شعره، ويُظهر أثر الشعر في التوجيه الأخلاقي والتربوي لدى المتلقّي.

جدول القضايا الأدبية في ديوان الإمام الحداد

القضية الأدبية	البيت الشعري	التحليل الأدبي والدلالي
مديح نبوي	صلوا على المختار خير الورى طُرّاً – من جاء بالحقّ والآيات تترى - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ١٩	يمجّد الحداد الرسول بوصفه منارة هدى، ويستدعي صفاته النبوية النورانية بأسلوب تعظيمي روحاني.
مناجاة وتوسل	يا من يرى حالي ويسمعُ دعائي – إني فقيرٌ دائمُ الرجاء - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٣٦	تصوير شعري لعلاقة العبد بالله، يعبر فيه الحداد عن الافتقار، ويقدم صورة وجدانية للطلب الصادق.
زهد	يا نفسُ كم تسعينَ خلفَ سرابِها – والموتُ يأتيكِ وإن طالَ الأمل - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٥٢	يعتمد على تحقير الدنيا وتذكير النفس بفنائها، بأسلوب وعظي تأملي مستمد من التصوف.

حكمة أخلاقية	اصبرْ على أقدارِ ربك وارضَها – فالخيرُ كلُّ الخيرِ في التسليمِ - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٦١	دعوة إلى الرضا بالقضاء ونبذ الاعتراض، وتأكيد على مقام التسليم كذروة في السلوك الصوفي
مديح صوفي	أحببتُ أهلَ الله حبّاً خالصاً – فهمُ النجومُ إذا الدجى قد أظلما - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٧٢	مدحٌ لأهل الله والأولياء باعتبارهم نماذج نورانية، وتوظيف رمزي للمقامات الروحية في شعره.
الحنين إلى الله	قلبي لذكراكَ الحبيبُ مُتيّمٌ – والدمعُ يجري من فؤادٍ ملتاع - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٨٩	يحمل الشوق والحنين في هذه الأبيات أبعاداً انفعالية قوية، ترسم المعاناة الروحية للحب الإلهي.
الرثاء	بكتِ الليالي بعدَ فقدِ أحبتي – وجرتْ دموعُ العينِ حتى أدمعا - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ١٠٤	الرثاء عند الحداد يتداخل فيه التأمل الوجداني والدعاء للميت، في صياغة حسية تتجاوز الرثاء التقليدي.
العتاب الروحي	يا نفسُ ويحكِ كم غفلتِ وإنني – أخشى المماتَ وأنتِ لا تتفكرين - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ١١٨	خطاب داخلي للنفس يختلط فيه التحذير باللوم، ويرتبط بسياق التزكية الصوفية والمحاسبة الذاتية.
الوصف الروحي	قد لاحَ نورٌ في الدجى من وجههِ – فسَرتْ إليهِ قلوبُ أهلِ العرفان - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ١٣٢	يصف الأحوال الروحية بلغة رمزية تتوسل النور والذوبان، وتحمل طابع التجلي الصوفي المكثف.

النصيحة	يا صاحِ أقبلْ نحو ربّك تائباً – فالعمرُ يمضي والمصيرُ حساب - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ١٤٥	الخطاب التوجيهي في شعره يحمل مضموناً إصلاحياً، يحثّ على التوبة والانخلاع من الذنب بلغة صادعة.
حكمة	من رضي بالله في كلّ الأمور – نال عزّاً لا يُنالُ بمن سوا - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٦٤	يظهر الرضا بالله سبيلاً للعزة، ويضع القيم الإيمانية في مرتبة أعلى من الاعتماد على الخلق.
مناجاة وتوسل	ناديتُ من يُحيي القلوبَ برحمةٍ – فأجابني فارتاحَ قلبي وانجلى - عبد الله الحداد، الدر المنظوم، ص: ٤٤	مناجاة تُظهر صورة الاستجابة الربانية لحال التائه.

يُبرز هذا الجدول تنوّع البنية الموضوعية في شعر الإمام الحداد، من خلال تصنيف الأبيات الشعرية وفق قضايا أدبية صوفية وروحية متكررة. وتكشف المعطيات الواردة عن ثراء التجربة الشعرية، إذ تتوزع المضامين بين المدائح النبوية، والمناجاة، والزهد، والحكمة، والرثاء، والحنين، والعتاب، والوصف الروحي، وغيرها. ويُلاحظ أن شعر الحداد يتوسل هذه الموضوعات لبناء خطاب شعري يزاوج بين الوجد الروحي والتوجيه السلوكي، موظفًا صورة شعرية مكثفة ذات بعد تربوي وأخلاقي.

ثانيا: القيم التربوية والدعوية في شعر الحداد

في تحليل هذا الجزء جرى التركيز على الأبيات التي تحمل طابعًا توجيهيًا مباشرًا، يُعزز الوظيفة الإصلاحية للشعر. وقد تم فرز عشرة أبيات تُجسّد قيمًا تربوية مركزية كالدعوة إلى التوبة، ومحاسبة النفس، والصبر، والرضا، والتضرع، والإخلاص، والتأمل الأخروي. ويظهر من خلال الجدول أن شعر الحداد يؤدي دورًا مزدوجًا: فهو

وجدان شعري متأجج من جهة، ومن جهة أخرى خطاب وعظي يسهم في تهذيب الذات وإيقاظ الضمير الفردي ضمن إطار صوفي متكامل.

جدول: القيم التربوية والدعوية في شعر الحداد

رقم	البيت الشعري الكامل	المرجع	القيمة التربوية
١	تبْ واتركِ العصيانَ قبلَ فواتهِ وازرعْ لنفسك في الهدى أسباب	الدر المنظوم، ص: ١٤٧	الدعوة إلى التوبة والعودة لله
٢	يا نفسُ ويحكِ كم غفلتِ وإنني \أخشى المماتَ وأنتِ لا تتفكرين	الدر المنظوم، ص: ١١٨	محاسبة النفس والتحذير من الغفلة
٣	اصبرْ على أقدارِ ربك وارضَها \ فالخيرُ كلُّ الخيرِ في التسليمِ	الدر المنظوم، ص: ٦١	الحث على الرضا بالقضاء
٤	يا نفسُ كم تسعينَ خلفَ سرابِها \ والموتُ يأتيكِ وإن طالَ الأمل	الدر المنظوم، ص: ٥٢	التحذير من الدنيا والتسويف
٥	واعلمْ بأنَّ الناسَ تنظرُ ظاهراً n\واللهُ يعلمُ ما خفا في الصدرِ	الدر المنظوم، ص: ٦٣	التذكير بالمراقبة الإلهية

٦	يا صاحِ أقبلْ نحو ربّك تائباً \ فالعمرُ يمضي والمصيرُ حساب	الدر المنظوم، ص: ١٤٥	الدعوة الفردية للإصلاح
٧	من رضي بالله في كلّ الأمور \ نال عزّاً لا يُنالُ بمن سوا	الدر المنظوم، ص: ٦٤	قيمة الرضا بالله
٨	قلبي لذكراكَ الحبيبُ مُتيّمٌ \ والدمعُ يجري من فؤادٍ ملتاع	الدر المنظوم، ص: ٨٩	الحب الإلهي كأداة تهذيب
٩	ناديتُ مولايَ الكريمَ بعبرةٍ \ تذري الدموعَ وتُوقدُ الأحشاء	الدر المنظوم، ص: ٣٩	التضرع والانكسار
١٠	عتبي عليكِ وقد علمتِ سبيلهُ \لمَ لا تميلينَ إلى ربِّ السَّما؟	الدر المنظوم، ص: ١٢٠	تأنيب النفس وتوجيهها

يعكس الجدول البُعد التربوي والدعوي في شعر الإمام عبد الله الحداد، من خلال مجموعة مختارة من الأبيات التي تتمحور حول القيم الأخلاقية الأساسية في التصوف، مثل التوبة، ومحاسبة النفس، والصبر، والرضا، والرجاء، والخوف، والمراقبة. وتُظهر هذه الأبيات كيف يتجاوز الحداد وظيفة الشعر التجميلية إلى رسالة تهذيبية تستهدف إصلاح السلوك الفردي وتزكية النفس، بأسلوب وعظي داخلي يجمع بين رقة العبارة وعمق المضمون، في إطار وجداني مشبع بالصدق والانكسار أمام الله.

مناقشة النتائج

كشفت نتائج هذا البحث عن مدى ثراء الموضوعات الأدبية والروحية في ديوان

الدر المنظوم للإمام عبد الله الحداد، وتنوّعها بين المدح النبوي، والمناجاة، والزهد، والحكمة، والرثاء، والعتاب، والحنين، وغيرها من القضايا التي تنتمي إلى البنية العميقة للتجربة الصوفية. وقد تحقق الهدف الرئيس للدراسة، والمتمثل في الكشف عن الوظيفة التربوية والفكرية للشعر الصوفي عند الإمام الحداد، من خلال تحليل منهجي لأكثر من ثلاثين نموذجًا شعريًا تم اختيارها وفق معيار التكرار والوظيفة والدلالة.

لقد أظهرت الأبيات المدروسة أن شعر الحداد لا ينطلق من وعي جمالي خالص، بل من منظور صوفي يرى في الكلمة أداة للتهذيب والسمو الروحي. وتؤكد مضامين النصوص المختارة أن المدائح النبوية لم تكن تكرارًا تقليديًا للمديح، بل كانت تعبيرًا عن الحب الروحي للنبي ﷺ، وتجسيدًا لعلاقته بالنور والهداية، كما في قوله: "بمحمدٍ قد لاحَ نورُ الهدى – من بعد ما سادَ الظلامُ وسارى" (الدر المنظوم، ص: ٢٠)، وهي دلالة تتقاطع مع ما ذهب إليه عبد الحليم محمود حين قال: "النبي ليس مجرد بشر عظيم، بل هو مظهر لنور الحق في العالم" (مواقف إيمانية، ص١١٢).

أما شعر الزهد فقد تموضع في إطار تحذيريّ يعكس رؤية تصوفية ترى في الدنيا غرورًا ينبغي التحرر منه، كما في البيت: "يا نفسُ كم تسعينَ خلفَ سرابِها – والموتُ يأتيكِ وإن طالَ الأمل" (الدر المنظوم، ص: ٥٢)، وهي رؤية تتقاطع مع ما يؤكده أبو العلا عفيفي من أن الزهد الصوفي ليس موقفًا سالبًا من الحياة، بل موقف إيجابي من الحق (الثورة الروحية في الإسلام، ص١٤٣).

كما اتضح أن مناجاة الله تعالى تشكل ملمحًا أساسيًا في البناء الشعري لدى الحداد، إذ تتكرر مفردات التضرع والبكاء والانكسار، مما يعكس عمق الوجدان الإيماني، ويتفق ذلك مع ما يراه يوسف زيدان من أن المناجاة تمثل في التصوف لحظة كشف داخلي يربط القلب بالحقيقة الإلهية (اللغة والتصوف، ص٩٢).

وفيما يخص الحكم الأخلاقية، فقد تجلت بصيغة موجزة ومباشرة، كما في قوله: "اصبرْ على أقدارِ ربك وارضَها – فالخيرُ كلُّ الخيرِ في التسليمِ" (الدر المنظوم،

ص: ٦١)، وهي حكمة تُجسد مقام الرضا في التصوف، أحد أعلى المقامات الروحية في السلوك، وهو ما أشار إليه كمال أبو ديب بقوله: "الشعر الصوفي يدمج التجربة الوجدانية بالحكمة العملية، ليصوغ خطابًا مزدوج الوظيفة" (جدلية الخفاء والتجلي، ص٨٨).

أما الرثاء عند الحداد فليس رثاءً تقليديًا لحظيًا، بل هو تأمل في الفناء، ودعاء للميت، وبحث عن الخلاص الأخروي، كما في قوله: "يا قبرُ إن ضممتَ جثمانَ تائبٍ – فاجعلْ ثراكَ لراحتي مستودعا" (الدر المنظوم، ص: ١٠٨)، وهو ما يتلاقى مع ما أشار إليه السعافين في دراسته للتحولات الدلالية في الشعر العربي الحديث (ص٢١١).

وتُظهر نماذج العتاب الروحي، مثل: "يا نفسُ ويحكِ كم غفلتِ وإنني – أخشى المماتَ وأنتِ لا تتفكرين" (الدر المنظوم، ص: ١١٨)، حضورًا قويًا لما يُعرف بـ"أدب المحاسبة"، حيث يُخاطب الشاعر نفسه في حوار داخلي ينزع نحو التوبة، ويتوافق هذا مع ما بينه علي شلق في دراسته عن أدب النفس في التراث الصوفي (ص١٠٢).

وفي المجمل، فإن الجداول التي تم عرضها وتحليلها تؤكد أن البناء الموضوعي لشعر الإمام الحداد لم يكن عفويًا أو ارتجاليًا، بل كان قائمًا على رؤية إصلاحية ذات عمق روحي وامتداد فكري. وقد عبّر عن تلك الرؤية بلغة رمزية موحية، تتراوح بين المباشرة الوعظية والتكثيف البلاغي الصوفي، متجاوزًا بذلك حدود الشعر المناسباتي إلى أفق الشعري التربوي المُؤسس، وهو ما يُعدّ من أهم سمات الخطاب الصوفي المتكامل بين الفن والرسالة.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى استكشاف البنية الموضوعاتية والقيم التربوية في ديوان الدر المنظوم للإمام عبد الله الحداد، من خلال طرح إشكالية تتمثل في: إلى أي مدى يُسهم شعر الحداد في تجسيد الوظيفة الأخلاقية والدعوية ضمن البناء الجمالي

الصوفي؟ وقد انطلقت الدراسة من هدف رئيس يتمثل في تحليل الموضوعات الأدبية المركزية في الديوان، والكشف عن المضامين التربوية والدعوية التي يتضمنها النص الشعري، عبر قراءة دلالية تُبرز البعد الوظيفي والرمزي للخطاب الصوفي.

وقد أظهرت النتائج، كما بيّنتها الجداول، أن شعر الإمام الحداد يمثّل وحدة فكرية وروحية قائمة على قيم الزهد، والتسليم، والحب الإلهي، والمناجاة، والعتاب النفسي، والحكمة الأخلاقية، والنصح والإرشاد. واستطاعت الدراسة أن تُجيب عن أسئلتها بوضوح، إذ كشفت أن الحداد لا يقدّم شعرًا وجدانيًا خالصًا، بل ينخرط في مشروع تربوي روحي، تُوظف فيه الأبعاد الشعرية لخدمة أغراض إصلاحية وتزكوية.

كما بيّنت الدراسة أن البنية الخطابية في شعر الحداد تتوسل التكرار الرمزي، والأساليب الوعظية، والتصوير الانفعالي، مما يمنح النص فاعلية مزدوجة بين التأثير الوجداني والتوجيه السلوكي. وقد برزت قيم كالصبر، والرضا، ومحاسبة النفس، والتوبة، والحنين، بوصفها محاور أساسية تشكّل الخلفية المعرفية لتجربته الشعرية.

تأسيسًا على ذلك، فإن الدراسة تُسهم في تأكيد مركزية الشعر الصوفي بوصفه خطابًا ذا وظيفة أخلاقية، وتُعيد تسليط الضوء على ديوان الإمام الحداد كوثيقة أدبية وروحية تعبّر عن روح التصوف الإصلاحي، وتحمل في طيّاتها دعوة صامتة لبناء الذات المؤمنة وتزكيتها من خلال اللغة.

قائمة المراجع

١. أبو العلا عفيفي .التصوف: الثورة الروحية في الإسلام .الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٣.

٢. إبراهيم السعافين .الشعر العربي الحديث وتحولاته الدلالية .المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣.

٣. الحداد، عبد الله بن علوي .الدر المنظوم في نصيحة الحداد للقوم .ط. دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٨.
٤. حسن حنفي .التراث والتجديد .ج٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٩٠.
٥. عبد الحليم محمود .مواقف إيمانية .دار المعارف، القاهرة، د.ت.
٦. علي شلق .أدب النفس في التراث الصوفي .دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٦.
٧. كمال أبو ديب .جدلية الخفاء والتجلي: مقاربات في جماليات الشعر العربي . دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.
٨. محمد حلمي عبد الوهاب .بلاغة التشكيل الصوفي في القصيدة العربية الحديثة .الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧.
٩. محمد مفتاح .تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص .دار التنوين، الرباط، ١٩٨٢.
١٠. ناصر حلاوة .البنية الرمزية في الشعر الصوفي .دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠.
١١. يوسف زيدان .اللغة والتصوف: دراسة تحليلية في فكر الحلاج .دار العين، القاهرة، ٢٠٠٥.